الباب الرابع

محبـــة النبي ﷺ

حقيقة المحبة، دلائل المحبة

الفصل الأول

حقيقة المحبة

تمهيد:

إن الحديث عن محبة النبي ﷺ نعمة ومتعة عظيمة فالألسنة تترطب بالصلاة عليه والآذان تتشنف بسماع هديه وسيرته، والقلوب تطيب لشوقه، والعقول تخضع لما ثبت عنه والجوارح والأعضاء تنتفع وتتمتع بموافقة هديه وحاله وفعله ﷺ.

ألا يا محب المصطفى زد صبابة ... وضمّخ لسان الذكر منك بطيبه

ولا تعبأن بالمبطلين فإنما ... علامةُ حبِّ الله حبُّ حبيبهِ

ذكر **ابن رجب الحنبلي** رحمه الله أن محبة الرسول ﷺ على درجتين:

أولها: فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به النبي ﷺ من عند الله، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حُسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه ﷻ، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لابد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

والثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ﷺ، وتحقيق الاقتداء بسنته، وأخلاقه، وآدابه، ونوافله، وتطوعاته، وأكله وشربه، ولباسه، وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة ﷺ»[1].

(1) راجع «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» لابن رجب الحنبلي ص٣٤، ٣٥.

وقال **ابن القيم**: «المحبة لا تُحد (أي: ليس لها تعريف) إذ هي أمر ينبعث بالنفس يصعب التعبير عنه».

أقسام المحبة:

أولًا: محبة الاستلذاذ بالاستدراك: كحب الصور الجميلة والمناظر والأطعمة والأشربة، وتلك محبة فطرية.

ثانيًا: محبة الإدراك بالعقل: وهي محبة معنوية وهي التي تكون لمحبة الخصال الشريفة، والأخلاق الفاضلة والمواقف الحسنة.

ثالثًا: محبة من أحسن إليك وقدم إليك معروفًا: وتنبعث المحبة حينئذ لتكون ضربًا من ضروب الحمد والشكر، فينبعث الثناء بعد ذلك ترجمة لها وتوضيحًا لمعانيها.

قال الإمام **النووي** -رحمه الله- معلقًا على تقسيم ابن القيم للمحبة: «وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ، لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين، بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم، والإبعاد من الجحيم، وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى، فإن الخير كله منه سبحانه وتعالى»[1].

(1) راجع «شرح النووي علي صحيح مسلم» (٢/ ١٤).

فإن نظرت إلى وصف هيئة النبي ﷺ، فَجَمَالُ ما بعده جمال، وإن نظرت إلى أخلاقه وخلاله ﷺ، فكمال ما بعده كمال، وإن نظرت إلى إحسانه وفضله على الناس جميعًا وعلى المسلمين خصوصًا فوفاء ما بعده وفاء، فمن هنا تعظم محبته.

ويستولي في المحبة على كل صورها وأعظم مراتبها وأعلى درجاتها، فهو الحري بأن تنبعث محبة القلوب والنفوس له في كل لحظة وفي كل تقلبات حياتنا ولذلك ينبغي أن ندرك عظمة هذه المحبة.

ونقل الحافظ **ابن حجر العسقلاني** -رحمه الله- عن بعض العلماء قولهم: «محبة الله ﷻ على قسمين: فرض وندب، فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يُقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدَّم هوى نفسه، والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فَيقدمُ على المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع.

وكذلك محبة الرسول ﷺ على قسمين كما تقدم، ويزداد: ألا يتلقى شيئًا من المأمور والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها»[1].

(1) راجع «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٦١).

أين الذين بنار حبك أرسلوا ... الأنوار بين محافلِ العشاقِ
سكبوا الليالي في أنينِ دموعهم ... وتوضئوا بمدامع الأشواقِ
كيف انطوت أيامُهم وهم الأُلى ... الأنوار بين محافل العشاقِ
هجروا الديار فأين أزمع ركبهم ... من يهتدي للقوم أو مَن يقتدي
يا قلب حسبك لن تلم بطيفهم ... إلا على مصباح وجه محمدِ
قوم إذا هيجوا كانوا ضراغمة ... وإن هم قسموا أرضوك بالقسمِ
كأنما الشرع جزء من نفوسهم ... فإن هم وعدوا استغنوا عن القسمِ

تحقيق محبة النبي ﷺ:

إن الأمر بمحبة النبي ﷺ يعني أن ذلك عبادة لله ﷻ وقربة إليه ﷻ، والعبادة التي أرادها الله ﷻ، ويرضاها من العبد هي ما ابتُغي به وجهه ﷻ، وكان على الصفة التي شرعها في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم ﷺ.

فأما الإخلاص في الأعمال وابتغاء وجه الله ﷻ فيها فهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، لأن معناها: لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

وأما متابعة النبي ﷺ وطاعتهُ فهي مقتضى الشهادة بأن محمداً رسول الله، ولازم من لوازمها، إذ معنى الشهادة له بأنه رسول الله حقًّا: «طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى وزجر، وألَّا يعبد الله إلا بما شرع»(1).

إن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

---

(1) راجع «مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (١/ ١٩٠).

ولقد قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القاضي **عياض** في شرح الآية: «فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرَّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ﴾ ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله»(1).

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾»(2).

وقال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ»(3).

---

(1) راجع «الشفا بتعريف أحوال المصطفى» (٢/ ١٨).

(2) أخرجه البخاري كتاب «التفسير» باب «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» حديث (٤٥٠٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(3) أخرجه مسلم كتاب «الجمعة» باب «تخفيف الصلاة والخطبة» حديث (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(1) وقال أيضًا: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بيده، لَا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»(2) وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ وهو آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ فقال له عُمَرُ: يا رَسُولَ الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ من كل شَيْءٍ إلا من نَفْسِي فقال النبي ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بيده! حتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ من نَفْسِكَ، فقال له عُمَرُ: فإنه الْآنَ والله! لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ من نَفْسِي، فقال النبي ﷺ: الْآنَ يا عُمَرُ»(3) قال ابن حجر: «أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب»(4).

وقال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ»(5).

وقال الدكتور محمد عبد الله دراز في شرح هذا الحديث: «ومحبة الله ورسوله هي أرقى أنواع هذه المحبة العقلية وأقواها، فمن كان باعث المحبة عنده معرفة

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الإيمان» باب «حب الرسول من الإيمان» حديث (١٥)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «وجوب محبة النبي ﷺ» حديث (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري كتاب «الإيمان» باب «حب الرسول من الإيمان» حديث (١٤).

(3) أخرجه البخاري كتاب «الإيمان والنذور» باب «كيف كان يمين النبي ﷺ» حديث (٦٢٥٧).

(4) راجع «فتح الباري» (١١/ ٥٢٨).

(5) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الإيمان» باب «حلاوة الإيمان» حديث (١٦)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان» حديث (٤٣).

ما في المحبوب من كمال ذاتي، فالله تعالى أحق بمحبته، إذ الكمال خاصة ذاته، والجمال الأتم ليس إلا لصفاته، والرسول الكريم ﷺ أحق من يتلوه في تلك المحبة، لأنه أكرم الخلق عند ربه، وهو ذو الخلق العظيم والهدي القويم، ومن كانت محبته للغير تقاس بمقاس ما يوصله إليه ذلك من غيره من المنافع وما يغدق عليه من الخيرات، فالله تعالى أحق بهذه المحبة أيضًا، وإن نعمه علينا تجري مع الأنفس ودقات القلوب ولا نعمة إلا هو مصدرها، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨]، وهذا الرسول الكريم الرءوف الرحيم هو واسطة النعمة العظمى، إذ هو الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، واستنقذنا به من النار بعد أن كنا على شفا حفرة منها، فليس بعد الله أحد أمنُّ علينا منه، ومحبته الحقيقية شعبة من محبة الله»(1).

تعظيم النبي ﷺ:

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح: ٨-٩].

(1) راجع «المختار من كنوز السنَّة» ص٣٤٤.

فذكر الله ﷻ: حقًّا مشتركًا بينه وبين رسوله ﷺ وهو الإيمان، وحقًّا خاصًّا به ﷻ وهو التسبيح، وحقًّا خاصًّا بنبيه ﷺ وهو التعزير والتوقير، وحاصل ما قيل في معناهما أن: «التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار»[1] وهذه المعاني هي المراد بلفظ التعظيم عند إطلاقه، فإن معناه في اللغة: التسجيل، يقال: «لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها»[2]، ولفظ التعظيم وإن لم يرد في النصوص الشرعية، إلا أنه استعمل لتقريب المعنى إلى ذهن السامع بلفظ يؤدي المعنى المراد من «**التعزير والتوقير**»[3].

و«**التعظيم أعلى منزلة من المحبة؛ لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظَّمًا، كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه، فإنها تدعوه إلى تعظيمه**»[4].

---

(1) راجع «الصارم المسلول» لابن تيمية (٣/ ٨٠٣).

(2) راجع «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٤١٠).

(3) لمزيد من التفاصيل انظر: «حقوق النبي على أمته» د. محمد التميمي، ملف وورد على الشبكة العنكبوتية.

(4) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٩٣).

وهذه تمام المحبة، وكمال التعظيم، وغاية التوقير. وأيُّ تعظيم أو محبة للنبي ﷺ لدى من شك في خبره، أو استنكف عن طاعته، أو ارتكب مخالفته، أو ابتدع في دينه وعبدَ الله من غير طريقه؟!

ولذا اشتد نكير الله ﷻ على من سلكوا في العبادة سبيلًا لم يشرعها، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال ﷺ: «من عَمِلَ عَمَلًا ليس عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١)، أي: مردود عليه.

فإذا كانت المحبة والتعظيم عبادة، فإن العبادة محلها القلب واللسان والجوارح ويتحقق تعظيم النبي ﷺ بالقلب بتقديم محبته على النفس والوالد والولد والناس أجمعين؛ إذ لا يتم الإيمان إلا بذلك، ثم إنه لا توقير ولا تعظيم بلا محبة وإنما يزرع هذه المحبة معرفته لقدره ومحاسنه ﷺ.

وإذا استقرت تلك المحبة الصادقة في القلب كان لها لوازم هي في حقيقتها مظاهر للتعظيم ودلائل عليه، تظهر على اللسان والجوارح.

وسنرى منزلة النبي ﷺ عند المصطفين من هذه الأمة ﷺ من خلال أمثلة تنطق بالتعظيم وتشهد بالمحبة حال الصحابة ﷺ في محبتهم للنبي ﷺ وتعظيمهم له في حياته: نال الصحابة رضي الله عنهم، أجمعين شرف لقاء النبي ﷺ، فكان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه ﷺ مما سبقوا به غيرهم، ولم ولن يدركهم مَن بعدهم.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب «الأقضية» باب «نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور» حديث (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فقد سئل علي بن أبي طالب ﷺ: «كَيْفَ كانَ حُبُّكُمْ لِرسولِ الله ﷺ؟ قال: كانَ واللهِ! أحَبَّ إلَيْنَا مِنْ أمْوَالِنا، وَأوْلَادِنَا، وَآبائِنَا، وَأمَّهَاتِنَا، وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ على الظَّمَإِ»(1)، وسأل أبو سفيان بن حرب ﷺ وهو على الشرك حينذاك زيد بن الدَّثِنة ﷺ حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه وقد كان أسيرًا عندهم: «نَشَدْتُكَ بِاللهِ! يَا زَيْدُ: أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ بِمَكَانِكَ يُضْرَبُ عُنُقُهُ، وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ ؟ قَالَ: وَاللهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا»(2).

وقال سعد بن معاذ ﷺ للنبي ﷺ يوم بدر: «يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبًّا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير»(3) وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «لما كان يوم

(1) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/ ٢٢).

(2) راجع «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١١٨٢-١١٨٣).

(3) راجع «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٢٦٨).

أحد حاص أهل المدينة حَيْصة، قالوا: قُتل محمد، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متَحزِّمة، فاستُقبلت بابنها وأبيها وزوجها وأخيها[1]، لا أدري أيهم استقبلت به أولًا، فلمَّا مرت على أحدهم قالت: مَنْ هذا؟ قالوا: أبوك، أخوك، زوجك، ابنك! تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ يقولون: أمامك، حتى دُفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذَتْ بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أُبالي إذ سلمتَ من عطب»[2] وفي رواية قالت: «كُلُّ مُصِيبة بَعْدك جَلَل»[3] أي: يسيرة وهينة ولقد حكَّم الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم، ومن هذا ما ورد عن سعد بن عبادة في غزوة بدر من حديث أنس ﷺ قال: «فَقَامَ سَعْدُ بن عُبَادَةَ فقال: إِيَّانَا تُرِيدُ يا رَسُولَ الله، وَالَّذِي نَفْسِي بيده! لو أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا! وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إلى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قال: فَنَدَبَ رسول الله ﷺ الناسَ فَانْطَلَقُوا حتى نَزَلُوا بَدْرًا»[4] وهذا أصدق تعبير عن المحبة كما كان شأنهم في تعظيمه وتوقيره

---

(1) أي: أُخبرت بمقتلهم.

(2) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٨٠) برقم (٧٤٩٩)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١١٥)، وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات».

(3) راجع «السيرة النبوية» لابن هشام (٤٠/ ٥٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٢٨٠).

(4) أخرجه مسلم كتاب «الجهاد والسير» باب «غزوة بدر» حديث (١٧٧٩).

ﷺ أوضح وأظهر من أن يستدل عليه، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروةُ ابن مسعود الثقفي ﷺ حين فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلمَّا رجع إلى قريش قال: «**أَيْ قَوْمِ! والله! لقد وَفَدْتُ على المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ على قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، والله! إن رأيت مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، والله! إنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تَعْظِيمًا له**»(1).

وقد تتعجب أيها القارئ لهذا الحديث النبوي لما يحويه من معان حتى تحدثك نفسك بشيء من الريب، ولكن عليك أن تسلم بصحة هذا الحديث، وأبلغ دليل على صحته هو ما يكون من أمر الأم التي تحب ولدها كيف تأكل الطعام الذي يخرجه من فمه، كذلك الزوج الذي يلعق ريق امرأته من شدة محبته لها.

وقد وُصِف الصحابة حال جلوسهم واستماعهم للنبي ﷺ بوصف عجيب جاء في أحاديث عدة، منها قول أبي سعيد الخدري ﷺ: «**وَسَكَتَ الناسُ كَأَنَّ على رءوسهم الطَّيْرَ**»(2).

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «الشروط» باب «الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب» حديث (٢٥٨١)، قوله: «إنْ» معناها: «ما» النافية، أي: ما رأيت.

(2) أخرجه البخاري كتاب «الجهاد والسير» باب «فضل النفقة في سبيل الله» حديث (٢٦٨٧).

وقال عمرو بن العاص ﷺ: «**وما كان أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ من رسول الله ﷺ، ولا أَجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كنت أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ منه إِجْلَالًا له، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ ما أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لم أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ**»[1]، ولما زار أبو سفيان ابنته أم حبيبة -رضي الله عنهما- في المدينة، ودخل عليها بيتها، ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ فطوته، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟ فقالت: «**هو فراشُ رسولِ الله ﷺ، وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراشه**»[2]، ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قول أنس بن مالك ﷺ: « **أَنَّ أَبْوَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تُقْرَعُ بِالْأَظَافِيرِ**»[3]، ولما نزل قول الله ﷻ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات: ٢]، قال ابن الزبير: «**ما كان عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ الله ﷺ بَعْدَ هذه الْآيَةِ حتى يَسْتَفْهِمَهُ**»[4].

---

(1) أخرجه مسلم كتاب «الإيمان» باب «كون يهدم الإسلام ما قبله وكذا الهجرة والحج» حديث (١٢١).

(2) راجع «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٢٨٠)، و«الإصابة» لابن حجر (٧/ ٦٥٣)

(3) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٣٧١) برقم (١٠٨٠) من حديث أنس ﷺ، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٠٠) برقم (١٥/ ٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١/ ٤٢٩) برقم (٤٤٤).

(4) أخرجه البخاري كتاب «التفسير» باب «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» حديث (٤٥٦٤).

وعن أنس بن مالك ﷺ: «أَنَّ النبي ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بن قَيْسٍ، فقال رَجُلٌ: يا رَسُولَ الله، أنا أَعْلَمُ لك عِلْمَهُ؛ فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فقال: ما شَأْنُكَ؟ فقال: شَرٌّ، كان يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النبي ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وهو من أَهْلِ النار، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قال: كَذَا وَكَذَا، فقال مُوسَى بن أَنَسٍ: فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فقال: اذْهَبْ إليه فَقُلْ له: إِنَّكَ لَسْتَ من أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ من أَهْلِ الْجَنَّةِ»[1].

(1) أخرجه البخاري كتاب «المناقب» باب «علامات النبوة في الإسلام» حديث (٣٤١٧).